

عدد اليوم الإثنين 29 أكتوبر 2018

معرض صور فوتوغرافية لشذا شرف الدين في «أجيال» بمن تتماهى عاملات منزلية مهاجرات



=== يقظان التقى

«ميدام» عنوان معرض صور لشذا شرف الدين في غاليري أجيال، الحمرا، يستمر إلى 10 تشرين الثاني يضم مجموعة عمل فوتوغرافية تجمع ما بين التصوير والجسد والسينيوجرافيا والعوامل النفسية والعاطفية لعاملات منزلية مهاجرة إلى لبنان بعناصر جمالية مختلفة عن الواقع الذي يعملن تحت قساوته وسطوته اليومية.

معرض يجمع ما بين «الواقع والتمثيل»، يدخل إلى تلك العلاقات المرئية وغير المرئية بين العاملة، الكائن المنزوع الإرادة والسلطة وبين سيدة المنزل الكائن القوي والسلطة الكاملة.

صور عديدة صوّرت في سياق هذه العلاقة المعقدة والمربكة وخارج هذه العلاقة، مع عاملات مهاجرات يعملنّ بالساعة يربّبنّ أمور المنازل، يرببنّ الأولاد، يطبخنّ الطعام، ينظّفنّ أوساخ المنزل، يساعدنّ كبار السن، يحرصن على حسن العيش والأهم يحرصن على جعل سيدة المنزل «الميدام» بأحسن حالة.

شذا شرف الدين التقت مجموعة منهنّ، مجموعة من النساء الشجاعات، بذلت أقصى في محاولة ملامسة لغتهنّ، حياتهنّ الصعبة، أولئك اللواتي تركن منازلهن وعائلاتهن وطرق حياتهن وفي شبه استمارة أو استباقة بصورة سألتهنّ على أحلامهنّ، عن الأفضل من حياتهنّ كعاملات منزليات، ما الذي يخرجهنّ من اليومي في مجتمعات عنصرية انتقائية، حيث يتعرضنّ لإساءات وانتهاكات جنسية وغير جنسية ومن دون أن يمتلكنّ أيّاً من وسائل الدفاع عن أنفسهنّ فيما يمضينّ في ممارسة عملهنّ.

التحول الذاتي

ماذا لو جرى ذلك التحويل الذاتي (Metamorphose)، وماذا لو جرى اكتشاف العناصر الجالية الأخرى، وماذا لو جرى العمل على لغة الجسد، والميتوجرافيا الصوتية والحركية والملابس، والتحويل في لحظة استرخاء والإمساك بسلطة فانتازية من نوع الحلم الذي يتجسد في صور أخرى، صورة ترى فيها العاملة نفسها، كنجمة أو سيدة مجتمع، أو أميرة، أو راقصة أو مغنية، في هذا المشهد أو ذاك، في هذه اللقطة أو تلك، هذه الرغبة أو تلك، ماذا لو جرى؟ التغيير النسبي في لون البشرة، هل يمكن أن تكون العاملة مداماً حقيقية أو أكثر.

إلى أي حدّ يمكن أن تدفع شذا شرف الدين بنسائها خارج الحدود في نسخة بالكاد تحمل فوارق بين عاملة ومارلين مونرو، أو مارلين ديتريش، أو الأميرة فريدة، أو هيفاء وهبي، أو ربحانه؟ أو الفوارق بين العاملة والمدام؟

عادة النسخة لا تنجح، ولكن معرض شذا شرف الدين يثير الفضول لشدة تلك العلاقة التي تجمع العاملات المنزلية بذلك اللحم، الصلة، التي تبدو أكثر من أنسنة حقيقية بين العاملة وأحلامها الفانتازية، لدرجة عناصر التشبه تصوير كاملة وهذا ما يحصل، بعضهن يعشن البيئات الأخرى ويستعرن بقوة السمات والسلوك أكثر مما يعرفن عن عملهن، لا بل يعشن أذواق الشهرة والنجومية وإحداهن عاشقة ربهانة تعزف وتغني وعلى إمام بالتيارات والاتجاهات الموسيقية. عملية التحويل تنجح مع شذا شرف الدين إلى الأقصى، وفيها العاملات يستعرن أثوابها والماكياج والرتوش تظهر عليهن علامات الثراء والسلطة وسلطة جمالهن تطرح أسئلة: إلى أي حد يمكن أن ندفع الحدود، أو تلك الفوارق، بين العاملة والمدام؟ وهل بالإمكان تبسيط تلك العلاقة المعقدة والتقسيمات الانتقائية البغيضة في اللون والعرق والمعايير الاجتماعية؟

انحياز

شذا شرف الدين في انحياز تام ضد الفرز بالألوان، وبألوان وسينوغرافيا معدة بالشكل في لائحة من عارضات بين تشكيل وتصوير فوتوغرافي وبكم كبير من الإحساس الذي يقطع مع الصور التي تبتكر بالنهاية هويتها الإنسانية مع الفارق بالعيش في الواقع وعوالم خيالية. والصبيا ساحرات، بعضهن خارقات الجمال، لامعات، وطبيعتهن لا تعرف تلك الفوارق، ولا التناقضات البصرية، متعددات الجنسيات، جاءت كل واحدة منهن من عالم صغير ومختلف.

معرض ليس للتسلية، مع أن الإخراج يوحي بالجو المسلي الناشئ ولكن يذهب أبعد إلى الحديث عن أمور أخرى تشغل الفنانة فعلاً وتود الحديث عنها، وحتى لو أزعجت بعض النسوة: لماذا كل هذه العنصرية في لبنان؟

لهذا المعنى المعرض بث صورة استفزازية للمدام، تلك السيدة التي تمضي في ممارسة العنف يومياً، إزاء سيدة أخرى ضعيفة تقول في نظرة كل يوم: «كم محظوظة أنت، لأنك لست أنا».

أظهرت شرف الدين جهوداً اختبارية كثيرة في عملها، وفي نقاشها مع العاملات حتى اللحظة الأخيرة، التي خرجت بها أكثر أناقة من المدام نفسها.

إن أحداً لم يتوجه إليهن بالسؤال، هناك تفاوت حقيقي عوالم شتى للتعايش في بيروت، والمعرض يحاول إزالة هذا التفاوت الواقعي ويسعى إلى التناسب بين مفاهيم إنسانية ورؤى وأدوار مختلفة النظرات ونستطيع على الأقل أن نتعلم لغتهم ونتقاسم أذواقهن الجالية وطمس تلك الفروق القاتلة شرط التحويل الذهني والاجتماعي وإشراك الجمهور في تلك العملية التصويرية عملية رائعة.

الأعمال المعروفة تظهر العاملات في صور، فوروم بصري، فاشن بصري، ساحر وأخاذ، حاد لقضايا المرأة بحساسة بارعة، طبعت عليها شرف الدين مسحة مفاهيمية عابثة بالتأبوت الاجتماعية وهي درست جيداً على عارضاتها، على أجسادهن، رّمت الوهن والضعف، والاهتراء المادي بغية ضمان صمود صورة تقوم على تحويل الأجساد، إلى قصص تقررهما العاملة، صورة تحررها من متاهات لا تحصى، وللصورة خصوصية من محو الحدود بين الروح والجسد، بين الجسد والحلم، بين الحلم والإنسان.

معرض طريف ومؤثر على السواء. المشكلة أن شريحة واسعة من النساء اللبنايات، شريحة كبرى لا تبحث عن صورتها الحقيقية في المرأة، ومعرض شرف يحمل هذا البعد التجسدي للأفكار بالصورة والموضة والتجهيز للمرأة عاملة جديدة بالآخراج وتلك النوايا الإنسانية الحسنة واجتذابها يضيف إلى منازلنا بُعداً، هوية إنسانية غير طبيعية، تجاه نسوة تتمتعن بالجادبية، بالرغبات المركبة، بالحياة الشخصية بالأصول، الصدقية، الفضاء السينوغرافي السنوي حيث يجتمعن بالصور بالجوايبة والكثير من الرضى، لأن للصورة أنفاس العاملات اللواتي يعانين الكثير في أوضاع اجتماعية بلا روح.

